



جامعة تشرين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

ظاهرة الإتياع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

أعدادها الطالب

سائر عامال مانهاشر

إشراف الدكتور

ماهر عيسى حبيب

مقدمة:

لقد كانت الأمثال العربية مرآة صادقة لحضارة الشعب العربي وضروب تفكيره، وعاداته وتقاليده، ومناحي فلسفته، ومثله الأخلاقية والاجتماعية، ولقد أدرك علماءنا الأقدمون أهمية هذه الأمثال فأقبلوا عليها جمعاً وتصنيفاً، وشرحاً وتعليلاً، وذكرها لأصولها ورواياتها المختلفة إلى غير ذلك من أمور تتعلق بها، وقلماً نرى علماء من أعلام الأدب إلا تطرّقوا إلى الأمثال، ولقد لعبت الأمثال دوراً مهماً في حياة العرب؛ لأنهم لم يبدؤوا منذ وقت مبكر فحسب في جمع أمثالهم وحكمهم، بل زينوا بها أديبهم العزيز حتى بقيت إلى يومنا هذا، إذ يرجع الاشتغال بالأمثال إلى أوائل عصر الأمويين وقد ألفت فيها كتبٌ فقد معظمها مع مرور الزمن، وأقدم كتاب في الأمثال وصل إلينا يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وهو ليس الكتاب الأول في الأمثال، بل سبقته مؤلفات في العصر الجاهلي بيد أنها لم تصل إلينا.

إن تلك الأمثال القديمة تنساب في مطاوي العقل الجمعي للشعب أو الأمة، وقد تكشف عنها صفحات الكتب، وتجلو الدراسات مضامينها ومواردها فتتضح شيئاً فشيئاً وعندئذ تتوهج وترودنا بمعلومات مفيدة وبحكم بليغة، فلا يكاد يخلو المرء من أن يتمثل ببعض الحكم القديمة في حياته اليومية تلقاء ما يعرض له من أحداث، وما يرى من شؤون، وما يبتر فكره من تأملات، فيطبق ما يحفظه من الأمثال عليها و يعطي بها رأيه، وينفث شجنه فتسترعي اهتمام السامع، وتتفي استغرابه بما تتضمنه من حكمة موجزة وبما تشير إليه من تشابه الأحداث وتكرّر الصروف.

وفي بحثنا هذا المعنون بـ (ظاهرة الإتياع و المزوجة و أثرها في الأمثال العربية) حاولنا أن نلقي الضوء على فئة من الأمثال العربية اتّسمت بـ بروز ظاهرة الإتياع و المزوجة في صياغتها، فبعد أن قمنا بجمع الأمثال العربية التي تجلّت فيها هذه الظاهرة من بطون الكتب ومصنفات الأمثال، تناولناها بالدراسة والتحليل آخذين بعين الاعتبار التفريق بين ظاهرتي (الإتياع، والمزوجة) وتناول التحليل المستويات اللغوية الأربعة: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا البحث موضوعاً للدراسة أننا من خلال اطلاعنا على الدراسات اللغوية الحديثة لم نجد فيما بحثنا من درس هذه الظاهرة في الأمثال، فالموضوع لم يزل أرضاً بكرًا؛ و لذلك أحببنا أن نخوض غمار هذا الموضوع ونجعله ميداناً للدراسة، ولكن يمكن أن تقع أيدينا على بعض الدراسات الحديثة التي درست الأمثال العربية من زوايا أخرى مختلفة وهي: دراسة نقدية قدمها مصطفى أبو العلا في كتابه (الأمثال العربية القديمة)، ودراسة تاريخية تحليلية قدمها الدكتور عبد المجيد قطامش في كتابه (الأمثال العربية) ودراسة تحليلية قدمها الدكتور محمد توفيق أبو علي في كتابه

(الأمثال العربية والعصر الجاهلي) وسمير عبدة في كتابه (التحليل النفسي للأمثال العربية)، والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (في الأمثال العربية) وغير ذلك من الدراسات الحديثة.

وأما عن مصادر القدماء التي تكلمت عن الإتياع والمزاوجة ، فقد عثرنا على مصدرين حملا عنوان الإتياع والمزاوجة، وهما كتاب (الإتياع) للإمام أبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة (351) هـ، وكتاب (الإتياع والمزاوجة) للإمام أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة (395هـ) وإننا إذ نقدّم هذه الدراسة لا ننسى جهود علمائنا الأفاضل قدامى ومحدثين، وهي على قلتها تُعدّ المصدر الأول في الدراسات الحديثة.

وتتلخص أهداف البحث بالآتي: التفريق بين ظاهرتي الإتياع والمزاوجة، والخروج بتعريف شامل لكل منهما من خلال الأمثال المدروسة، والتأكيد على ما للتوازن الموسيقي من دور في حفظ المثل وذيوعه، ولعلّ الهدف الأهم تعرّف خصائص اللغة المنطوقة من خلال دراستنا للظواهر اللغوية المتعدّدة ضمن المستويات المختلفة، وكذلك محاولة الكشف عن العلاقة بين المثل والتطور الدلالي إلى غير ذلك من الأهداف التي سنعرضها في حينها.

وفيما يتعلّق بمنهج الدراسة، فهو منهج وصفيّ تحليلي، يتناول بنية اللغة في مختلف مستوياتها، وهو ما اقتضته طبيعة دراستنا في بحثنا هذا.

وقد اقتضت الدراسة أن يكون البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. أمّا الفصل الأول، فقد تناول الدراسة النظرية التي اندرجت تحت عرض موجزٍ لظاهرتي الإتياع والمزاوجة عند العرب قديماً وحديثاً، مع التمييز بينهما من خلال تعريفٍ موجزٍ ارتضيناه لكلّ منهما والبعد النفسي للإتياع والمزاوجة، الذي تمثّل في العلاقة الوثيقة التي تربط ثنائية الإتياع والمزاوجة، فمجرد نطقنا لإحدى الكلمتين يستدعي الأخرى في الذهن تلقائياً دون أدنى جهد، وكذلك أثر اللغة المنطوقة في ثنائية الإتياع والمزاوجة، فقد لعبت هذه الثنائية دوراً مهماً في حفظ المثل وذيوعه وبقائه في مستودع الذاكرة، بما تمتعت به من إيقاعٍ وجرسٍ وموسيقىّة، وكذلك بيّنا في هذا الفصل أثر الإتياع والمزاوجة في الاقتصاد اللغوي للغة الأمثال، من خلال مجموعة مظاهر لغوية كان أبرزها: التخلّص من الهمز، والقلب المكاني، والتكرار في الحروف والأصوات والمقاطع، والإبدال، والحذف، والاستخفاف، وخرجت الدراسة في نهاية كل موضوع إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

وأما الفصل الثاني فهو الدراسة التحليلية على المستوى الصوتي، والتي تناولت ثلاث ظواهر صوتيّة هي: التنغيم، حيث عرضت هذه الظاهرة لنطق مجموعة من الأمثال ما بين نغمة صاعدة أو هابطة، وملاحظة المعنى الذي خرجت إليه مع كل نغمة. والظاهرة الثانية هي النبر، حيث تناولت نبر

السياق أو الجمل في مجموعة من الأمثال من خلال تمييز بعض كلمات المثل في النطق عن غيرها، والمعنى الذي خرج إليه. وتناولت الدراسة في هذا المستوى كذلك للمقطع الصوتي حيث تناولت مجموعة من الأمثال بالتحليل المقطعي، وملاحظة المقطع الأكثر شيوعاً وتكراراً فيها، وفي نهاية كل ظاهرة أثبتت الدراسة أهم النتائج التي خرج بها البحث على هذا المستوى.

وأما الفصل الثالث فهو الدراسة التحليلية على المستوى الصرفي، حيث تضمن خمس ظواهر صرفية هي: الأبنية الصرفية والأمثال: والتي قدمت لأبرز الأبنية الصرفية الشائعة في تركيب المثل وفي كلمتي الإبتاع والمزوجة، وملاحظة الصيغة الأكثر تكراراً، والمعنى الذي أفادته. والثانية: الخروج على الأصول الصرفية: حيث عرضت لأبرز الأمثال التي تجلّت فيها مظاهر الخروج على الأصول الصرفية كالجموع الشاذة، والأبنية الشاذة، وتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، والحذف والثالثة: تعدد الروايات في الأمثال: حيث تناولت أهم الأسباب التي كانت وراء تعدد الروايات في الأمثال وأبرزها: كثرة التداول، الاختلاف في نصّ المثل الرواية بالمعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف، المجالس والمحاورات. ثم تطرقت الدراسة في هذا المستوى إلى ظاهرتي الإبدال والتسهيل، أي إبدال بعض الحروف بأخرى في مجموعة من الأمثال ودلالة ذلك، وتسهيل الهمز في مجموعة أخرى، بسبب اختلاف اللهجات، والسعي وراء الخفة والسهولة.

وفي نهاية كل ظاهرة أثبتت الدراسة أهم النتائج التي خرج بها البحث على هذا المستوى.

وأما الفصل الرابع فهو الدراسة التحليلية على المستوى النحوي، وقد تناولت أربعة أساليب نحوية هي: أسلوب التوكيد، أسلوب الحذف، أسلوب النفي، أسلوب الشرط، وذلك لأنها الأكثر شيوعاً في الأمثال، وفي كل أسلوب تطرقت الدراسة لأبرز الأدوات التي تجلّت في لغة الأمثال، كالتوكيد بالأداة، والتوكيد بغير الأداة في أسلوب التوكيد، والحذف في الاسم، والحذف في الفعل في أسلوب الحذف، والشرط بـ إن، ومن، وحيثما، وإذا، ولو، ولما في أسلوب الشرط، وتناولت الدراسة أيضاً عرضاً لصيغة الفعل الماضي التي تميّزت بها لغة الأمثال العربية، ليختتم كل أسلوب بأهم النتائج التي خرجنا إليها على هذا المستوى.

وأما الفصل الخامس والأخير فهو الدراسة التحليلية على المستوى الدلالي، التي تطرقت إلى أثر الكلمة المزوجة في التطور الدلالي من خلال عرض مجموعة من الأمثال على معجمي العين واللسان، وملاحظة التطور الدلالي لبعض الكلمات في الأمثال التي جاءت الكلمة المزوجة فيها لا معنى لها، ثم عرضت هذه الدراسة إلى الدخيل في لغة الأمثال من خلال إظهار الأصل اللفظي لمجموعة من الكلمات

الدخيلة في بعض الأمثال. ليختتم كل موضوع بأهم النتائج المستخلصة، وليصل البحث إلى خاتمة تناولت أبرز النتائج المستخلصة في كل مستوى من المستويات الأربعة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الله تعالى على إنجاز هذا البحث، كما نتوجه بشكرنا الخالص، وامتناننا العميق، وعرفاننا بالفضل الكبير إلى معلمنا الأول على درب البحث العلمي أستاذنا الدكتور: ماهر عيسى حبيب، الذي جمع في شخصه كبرياء المعرفة، وتواضع العلماء، وحلم الآباء، نشكر له فائق عنايته وجهده المبذول، ووقته الثمين في سبيل أن يرى هذا البحث النور، بعد أن صوّب خلله، وقوّم اعوجاجه، فكان خير معين لا ينضب، جزاه الله عنّا كل الخير، ونسأل له دوام الصحة والعطاء والعمر المديد.

ولا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذينا الفاضلين عضوي لجنة الحكم: الأستاذ الدكتور سامي عوض والدكتورة ميساء عبد القادر لتفضلهما في قراءة هذه الرسالة، آمليْن أن نفيد من ملاحظتهما القيّمة، وتوجيهاتهما السديدة، ولا يفوتنا أيضاً أن نشكر قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين على ما لمسناه منهم من تقدير واحترام وإعانة، ونخصّ كذلك بالشكر والتقدير وجميل العرفان عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين أساتذة وإداريين، وكل من ساهم في إغناء بحثنا هذا أو إخراجه بهذه الصورة.

وبعد فإننا نأمل أن نكون قد وقّنا في اختيار هذا البحث الشاق والشائق في آنٍ معاً، وأن نكون قد قدّمنا ما فيه الفائدة للمكتبة اللغوية العربية، وأضفنا إلى دراساتنا التراثية بحثاً جديداً جديراً بالقراءة، ونلتمس العذر لنفسنا فيما قد يعتري هذا البحث من خللٍ أو نقص؛ لأنّ الإمام الكلبيّ بجوانب بحث ثريّ كهذا البحث أمر يصعب بلوغه.

ونرجو أن نكون قد قدمنا في هذا البحث بعض ما نصبو إليه من خدمة العربية وتراثها، وقد نشدنا وجه الحقّ في كل سطر كتبناه، وفي كل فكرة نقلناها ووثقناها، فإن أصبنا فذلك حسبنا، وإن أخطأنا فما نحن إلّا أناسٌ ضعفاء يصيبون قليلاً ويخطئون كثيراً، وسبحان من له الكمال وحده فمنه السداد وبه التوفيق والحمد لله أولاً وآخراً.

وشكراً